

فاتعظّم نفسي الربّ

١٩٨٧ - ١٩٩٧

«لذلك، إذا أردنا بعد الآن أن نصغي إلى كلام الله المقدم لنا على هذا النحو، وإذا أردنا أن نتغذى منه، لا يجوز أن نكتفي بتلاوة نشيد مريم أو ترتيله، كأننا نوّدي عملاً ما بدون انتباه... بل لنحاول الدخول إلى روح النصّ الذي يجعلنا نغوص في قلب سرّ الله.»

بطريركية الروم الكاثوليك دمشق

إلى أبنائي الأحباء أعضاء أخويات عائلات مريم. بركة الله تغمركم
وسلامه يشملكم أجمعين.
أودّ أن أذكركم بأنّ حياتنا المسيحية هي عودة مستمرة إلى الإنجيل
الطاهر للتأمل في تعاليم السيد المسيح له المجد، وللتشبه بأعماله وفضائله.
وهذه الموضوعات المدرجة في الصفحات المرفقة غايتها تعمّكم
فردياً وجماعياً في تعاليم السيد المسيح نور حياتنا وطريقنا. فتأملوا فيها،
واجعلوا منها مدرجة إلى الارتقاء في الكمال المسيحي، على مثال السيد له
المجد، الذي قال لنا:

«كونوا كاملين كما أنّ أباكم السماوي كامل».

وستجدون في مريم العذراء ، شفيعة أخويتكم، الأمّ القديسة التي
طبّقت في حياتها هذه التعاليم على أسمى وأكمل وجه. فلتشملكم بعطفها
الوالدي ولتساعدكم على الاقتداء بالربّ يسوع في ممارسة هذه الفضائل
المسيحية.

✠ المطران فرنسوا أبو مخ
النائب البطريركي العام

تمهيد

ها نحن في طريقنا إلى "لورد" لنقوم بحجّ الأخويات العالمي السابع. لا شك في أنه سيكون أعظم حجّ حتى الآن، فضلاً عن أنه يتزامن مع الاحتفال اليوبيلي لمرور أربعين عاماً على الشرعة. وسيكون على الأخصّ حجّ شكر وحمدٍ وتسبيح.

فمن الطبيعي إذاً، أن نضع مسيرتنا إلى لورد. علامة صلاة التعظيمة. إنها نشيد شكر العذراء مريم، الذي أضحي معها نشيد شعب الله بأسره، والترتيلة التقليدية لليتورجيا الكنيسة، كما أضحي هذا النشيد أيضاً صلاة الأخويات اليومية. إنها لمناسبة ثمينة لفهم كلمة الله هذه وعيشها بصورة أفضل، إذ نميل في أغلب الأحيان إلى تلاوتها تلاوة رتيبة، دون أيّ تفاعل أو تحرك، كأنها أمر مفروغ منه...

«أشبع الجوع خيراً والأغنياء أرسلهم فارغين!»...

في الأشهر الأولى من عام ١٩٨٨، سيتأمل أعضاء جميع أخويات العالم الذين يتجاوز عددهم ٣٠٠٠٠ "كوبل" ٥٠٠٠ مستشار روعي في تسبحة العذراء كي يضعوا أنفسهم في روحانيّة الحجّ، إنها خطوة هامة وسوف تثمر حتماً. نريد أن نحمل معنا إلى لورد حصاداً وفيروساً حصدناه عبر العالم لنضعه عند أقدام مريم، وسوف يحمل من يشترك في الحجّ حصيلة أفكار من لم يتمكنوا من الحضور، وسوف يتمّ التركيز على موضوع نشيد التعظيمة في جلسة تبادل أحداث عامة بغية التقدّم معاً إلى الأمام. من المهمّ إذاً، تكريس وقتٍ كافٍ لدراسة هذا الموضوع ولإعطائه الأولويّة في عام ١٩٨٨. ممّا يحتمّ، عملياً، على المسؤولين عن الأقاليم الرئيسية والأقاليم الأخرى ألا يطلبوا من الأخويات التعمّق في مواضيع أخرى من شأنها أن تنافس هذه الدراسة، ويحتمّ أيضاً أن تنصبّ اللقاءات في الأشهر الأولى على هذا الموضوع. ويستحسن أخيراً أن تكرّس له بعض الأمسيات على مستوى الزوجين وأن يكون ركيزة واجب مجالسة... وخلاصة القول، إنّه موضوع مركز و غنيّ جداً، يتعيّن علينا أن نتأمّل فيه ونعيشه ونصليّه في كلّ من أخوياتنا أولاً، ثمّ معاً في "لورد".

فُسّم الموضوع إلى أربع فقرات لأربعة لقاءات، وهي تتوافق مع نصّ التعظيمة بأمانة.

نشيد التعظيمة

«تعظم نفسي الربّ وتبتهج روعي بالله مخلصي لأنه نظر إلى تواضع أمته، فها منذ الآن تطوّبني جميع الأجيال، لأنّ القدير صنع بي عظامم، واسمه قدّوس ورحمته إلى أجيال وأجيال للذين يتّقونه.
صنع عزّاً بساعده وشتت المتكبرين بأفكار قلوبهم. حطّ المقندين عن الكراسي ورفع المتواضعين، أشبع الجياع خيراً والأغنياء أرسلهم فارغين. عضد شعبه فذكر رحمته - كما كلم آباءنا - لإبراهيم ونسله إلى الأبد».

تسبحة مريم في الكتاب المقدّس

ومن البديهي أنّه لا يمكننا الإحاطة بالموضوع بكامله من جهة تطبيقاته الحياتية، فلا بدّ في البداية من بعض الخيارات. وقد تمّ التشديد على ما يهمّ مباشرة حياة الأخويات والرابطة نفسها، كما أنّه تمّ أيضاً أخذ هذه الناحية بعين الاعتبار في طريقة معالجة المواضيع الجزئية الأربعة وهي:

- ١ - معنى النصّ حسب الكتاب المقدس، مع الاستشهادات العديدة التي يتضمّنها.
- ٢ - التطبيق على الأخويات.
- ٣ - دروب واقتراحات لمتابعة التفكير.
- ٤ - نصوص صلوات وأناشيد ...

فالأمر منوط بكلّ زوج وزوجة، وبكلّ الأسر والأخويات، كي يكون النشيد الرائع المتضمّن آيات الشكر والرجاء الذي ما فتئ يدعم صلاة الكنيسة، سنداً لما سنفجّره من فرح ومحبة واعتراف بالجميل.

تكوّن التعظيمة جزءاً من إنجيل الطفولة حسب القديس لوقا. إنّ الفصول الثلاثة الأولى من إنجيل لوقا مكتوبة بلغة مختلفة وأقدم من بقية النصّ، هي اللغة اليونانية المتأثرة بالسامية والمستخدمة في "الترجمة السبعينية". ومن المعتقد أنّ لوقا، لمّا كتب إنجيل الطفولة هذا، استند إلى تحريّات شخصية، كما يقول في المقدّمة: "لمّا أن أخذ كثير من الناس يدوّنون رواية الأحداث التي جرت بيننا، كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة ثم صاروا عاملين لها، رأيت أنا أيضاً، وقد تتبّعتها كلّها من أصولها غاية التتبع، أن أكتبها مرتبة... " (لوقا ١/١-٣).

- ما هو نوع نشيد التعظيمة الأدبي؟ إنه نشيد يكرر جزءاً مما جاء في نشيد حنة أم صموئيل (سفر الملوك الأول ١/٢-١٠) ويذكر مقاطع عديدة من العهد القديم. أو ربّما كان "قطعة منقولة" عرفها لوقا سابقاً وأدخلها في روايته، بيد أنها تنسجم تماماً مع سائر النصّ.

طبقاً لأقوال بعض المعلقين، يرمي الفصلان الأوّلان من إنجيل لوقا إلى الإجابة عن السؤال الآتي: كيف حصل أن بقي مجيء يسوع المخلص حدثاً مخفياً؟ الجواب يكمن في نشيد مريم: إنّ الله يحبّ المتواضعين والفقراء، وإنّ مجيء المسيح المخلص إنّما هو قمة التعظيم والتمجيد في أقصى تواضع. ومريم هي في قلب سرّ التواضع هذا (أمة الرب)، كما أنّها في قلب هذا المجد (مباركة من بين كلّ النساء، طوباوية بالنسبة إلى جميع الأجيال).

- ما هو نوع نشيد التعظيمة الأدبي؟ إنه نشيد يكرر جزءاً مما جاء في نشيد حنة أم صموئيل (سفر الملوك الأول ١/٢-١٠) ويذكر مقاطع عديدة من العهد القديم. أو ربّما كان "قطعة منقولة" عرفها لوقا سابقاً وأدخلها في روايته، بيد أنها تنسجم تماماً مع سائر النصّ.

طبقاً لأقوال بعض المعلقين، يرمي الفصلان الأوّلان من إنجيل لوقا إلى الإجابة عن السؤال الآتي: كيف حصل أن بقي مجيء يسوع المخلص حدثاً مخفياً؟ الجواب يكمن في نشيد مريم: إنّ الله يحبّ المتواضعين والفقراء، وإنّ مجيء المسيح المخلص إنّما هو قمة التعظيم والتمجيد في أقصى تواضع. ومريم هي في قلب سرّ التواضع هذا (أمة الرب)، كما أنّها في قلب هذا المجد (مباركة من بين كلّ النساء، طوباوية بالنسبة إلى جميع الأجيال).

إنّ مريم تمثل أيضاً شعب الله. وتطابق آيات الشكر التي رفعتها آيات شكر شعب الله الذي تمثله.

هل تلقّظت مريم فعلاً بكلّ تلك الكلمات؟ وهل تعني عبارة "فقلت مريم" الواردة في الإنجيل (٤٦/١) أنّ العذراء ارتجلت فجأةً هذا النشيد بحرفيّته؟ نجد في العهد القديم عدّة حالات مماثلة أنشدت فيها أناشيد على هذا الشكل، أشهرها النشيد الذي يعظّم عبور البحر الأحمر (سفر الخروج ١/١٥ وما يليها)، فقد جاء فيه: "حينئذٍ أنشد موسى وشعبه هذا النشيد للربّ وقالوا..."، إنه نشيد الشكر المشهور الموجّه إلى الله "الذي تعظّم بالمجد وطرح الفرس وراكبه في البحر".

يمجّد هذا النشيد روائع الله لأجل شعبه، حتى إنّ لمّح إلى هيكل أورشليم... يتضمّن سفر يهوديت أيضاً مثالين لأناشيد أنشدها جماعات متعدّدة أو جمهور غفير. (يهوديت ١٥ و١٦). هذه إذاً طريقة تعبير.

وضعت هذه التسبحة في فم مريم للتعبير عمّا يحدث، وربما تفوّهت مريم ببعض تلك الكلمات، أو فكّرت في كلّ ذلك في أثناء الأشهر الثلاثة التي قضتها في منزل أليصابات. وإذا كنّا، نحن اليوم، نريد أن نكرّس بعض الوقت للتأمّل

في تلك الكلمات، ألم تخصص مريم لذلك وقتاً أطول بكثير؟ ثمّة أمرٌ أكيد، هو أن الإنجيل يقول لنا إنّ هذا هو معنى ما يتمّ الآن. جعلت الكنيسة من هذه التسبحة إحدى القطع الرئيسيّة من طقوسها الليتورجية اليومية، وتتلوها في صلاة الغروب. لذلك، إذا أردنا بعد الآن أن نصغي إلى كلام الله المقدم لنا على هذا النحو وإذا أردنا أن نتغدّى منه، لا يجوز أن نكتفي بتلاوة نشيد مريم أو بترتيله، كأننا نوّدي عملاً ما بدون انتباه... بل لنحاول الدخول إلى روح النصّ الذي يجعلنا نعوص في قلب سرّ الله، ولنبتهج مع مريم لأنّ الوعود تحققت وكَمُلَ انتظار شعب الله.



أولاً: «تعظم الربّ نفسي وتبتهج روعي بالله مخلصي لأنه
نظر إلى تواضع أمته، فها منذ الآن تطوّبني جميع
الأجيال»

١ - ١ - مريم

١- نشيد مريم مستوحى بقدر كبير من نشيد حنة أم صموئيل، وهو صورة طبق الأصل عنه إلى حدّ ما. إنّ نشيد حنة، وهو نشيد شكر أنشدته امرأة عاقر استجاب الله صلاتها، هو أيضاً نشيد مشيحاني يعبر عن رجاء الفقراء، وينتهي بإعلان مجيء الملك المخلص، وقد وُضع هذا النشيد في فم حنة نظراً إلى فحوى آيته الخامسة (سفر الملوك الأول ١/٢ إلى ١١): "العاقر تلد...".

نشيد حنة

- ١ - وصلت حنة وقالت: ابتهج قلبي بالربّ، وارتفع رأسي بالربّ، واتسع فمي على أعدائي، لأنّي فرحت بخلصك.
- ٢ - لا قدّوس مثل الربّ لأنه ليس أحد سواك، وليس صخرة كالهنأ.
- ٣ لا تكثرُوا من كلام التشامخ، ولا تخرج وقاحة من أفواهكم لأنّ الربّ إلهٌ عليمٌ وازن الأعمال.
- ٤ كُسرَت قسيّ المقتدرين، وتسربل المتعثرُونَ بالقوّة.
- ٥ أجر الشباعي أنفسهم بالخبز، والجياع كفّوا عن العمل، حتى إنّ العاقر ولدت سبعة وكثيرة البنين ذبلت.
- ٦ الربّ يميّت ويحيي، يُحدر إلى مئوى الأموات ويُصعد منه.
- ٧ الربّ يفقر ويغني، يحطّ ويرفع.
- ٨ ينهض المسكين عن التراب، يقيم الفقير من المزبلة ليجلسه مع العظماء ويورثه عرش المجد، لأنّ للربّ أساس الأرض وقد وضع عليها المسكونة
- ٩ هو يحفظ أقدام أتقيائه، والمنافقون في الظلام يزولون، لأنه لا يغلب إنسان بقوّته.

١٠ مخاصمو الرب ينكسرون وعلى كل واحد يدعو من السماء،
الرب يدين أقاصي الأرض، يهب لملكه عزة ويرفع رأس
مسيحه.

٢ - ثمة فكرة رئيسية تظهر منذ البداية : إنها فكرة البهجة، أو بشكل
أوضح "الارتعاش" من البهجة. وقد ورد هذا التعبير كثيراً على لسان بعض
الأنبياء كأشعيا وهوشع اللذين استعملا كلمات مشابهة له مثل: اهتز، تهلل،
جدل، وثب من الفرح... كما ونذكر ما ورد في يو ٨/٥٦، حيث قال: "ابتهج
أبوكم إبراهيم على رجاء أن يرى يومي"، وورد أيضاً في إنجيل الطفولة عند
لوقا، مرتين على لسان أليصابات (اهتز الجنين طرباً في بطني)، ومرّة على
لسان مريم. فتفجّر فيها الفرح وجعل قلبها يقفز.
علينا إذًا، أن نشارك مريم بهجتها تلك أمام أعظم هبة وهبها الله للبشرية.

٣ - بينت مريم السبب المباشر لهذا الابتهاج لما قالت: "لأنه نظر إلى تواضع
أمته". وعلى هذا النحو بدا اللقاء بين الله ومريم.
هناك من جهة، فقر مريم وتواضعها، إنها تلك التي تريد أن تكون "أمة"،
فهو اللقب الوحيد الذي أعطت نفسها إياه، في هذا الحدث وفي حدث البشارة،
علمًا أنّ حنة تفوّهت بكلمات مماثلة إذ قالت: "إن أنت نظرت إلى عناء
"أمتك... (سفر الملوك الأول ١/١١) ولا بدّ هنا من الرجوع إلى لقب "خادم"
الذي أعطي شعب الله إياه، وإلى لقب "خادمة" الذي يطبق على صهيون، وإلى
نشيد العبد المتألّم في نبوءة أشعيا والذي ينذر بمجيء المخلص. وبذلك تنضمّ
مريم، بدافع تواضعها، إلى شعب الله وتصبح صورته ورمزه.
ومن جهة أخرى، هناك الله و"نظرته". فيكفيه أن "يلقي نظرة"، حتى
يخلق ويحوّل ويبدّل. ونظرة الحب والاصطفاء التي يلقيها، هي دليل على
النعمة بذاتها.

٤ - عندئذٍ وبتأثير هذه النظرة الإلهية، ستعلن عندئذٍ وبتأثير هذه النظرة
الإلهية، ستعلن طوباوية مريم. وسبق لأليصابات أن حيّتها قائلة: "مباركة أنت
في النساء"، في مناسبة لاحقة قال الشعب ليسوع "طوبى للبطن الذي حملك!"
(لوقا ١١/٢٧-٢٨). أليست مريم التي تعلن فقرها، أول المستقيبات من
التطويبات التي سيعلنها ابنها؟

كما نسمع كصدي، ذاك الوعد الذي قطعه الرب لإبراهيم في البدايات لما
قال له: "يتبارك بك جميع عشائر الأرض" (سفر التكوين ١٢/٣). وستتوضّح
هذه الرابطة بين إبراهيم ومريم في نهاية النشيد، إذ معهما نمسك بطرفي سلسلة
الخلاص: في البدء، يوجد إبراهيم أبو المؤمنين، وفي النهاية، توجد مريم التي
استقبلت ثمرة الوعد والرجاء التاريخي.

١ - **علينا أن نتعلم أن نعيش في الحمد والشكر، حسب نصيحة القديس بولس.** إنّه موقف صعب تبنيّه، ونجد صعوبة في التعبير عن شكرنا، إذ غالباً ما تقف كلمة شكراً تقف في الحنجرة ولا تخرج... وكثيراً ما يتهرّب منها الأولاد علماً بأنّ للمسيحيين دواعي تدفعهم إلى تنمية روح العرفان بالجميل والابتهاج لأنّهم حظوا بالخلاص.

في حياتنا الشخصية، في أسرنا، في أخويّاتنا، من المفيد جداً أن نعدم بشكل منتظم إلى تحديد النقطة التي وصلنا إليها في هذا المضمار، فنستعرض دوافع رفعنا آيات الشكر إلى الله، ويمكننا القيام بذلك مثلاً في نهاية كلّ سنة لمناسبة إجراء عمليّة التقويم.

لقد آن الأوان إذاً، بعد مرور ٤٠ عاماً على وجود الأخويات، أن نفكّر في تقديم الشكر إلى الرب، بشكل احتفالي، لكلّ غنى النعمة التي اجتازت حياة الأخويات.

٢ - **ربما يتحتم علينا أيضاً أن نتعلم مجدداً أن نعيّد ونحتفل وحتى أن نقفز من الفرحة.** كثيراً ما نسمع، أنّ عالمنا عبوس وكاسف الوجه، وهو أكثر تحسناً للألم والأحزان!.. لا شك في أنّ له أسباباً تدعوه إلى ذلك، غير أنّ هناك أيضاً أسباباً تدعو إلى الرجاء والابتهاج، علينا أن نتعرّفها وأن نكشفها للجميع. بوسعنا مثلاً تنشيط احتفالاتنا العائلية، كأعياد الميلاد واحتفالات الأحداث الهامة مثل الولادة والمعمودية والخطوبة والزواج.. أفلا نزال نعرف كيف نحتفل معاً بهذه المناسبات؟

٣ - **نظرة حبّ الله:** علينا أن ندرك بدورنا أنّ الله يحبنا وأنّ نظرتنا إلينا ليست نظرة شجب أو إدانة بل نظرة حبّ، رغم فقرنا المدقع وبؤسنا. - يجب أن ندرك أنّ نظرة الله هي التي تحوّلنا، وأنّ قوانا الخاصة وحدها غير قادرة على تنميتنا في النعمة، إنّ نعمة الله هي التي تعمل فينا، إنّ قوته من الحبّ والحياة هي التي تبدّلنا. لنحاول إذاً، أن نعرف كيف تقدّمنا تحت نظرة الله في حياتنا الشخصية والزوجية وفي حياتنا ضمن الأخوية.

وعلى مستوى كياننا الزوجي، إلى أيّ نقطة وصلت نظرة الحب التي يلقينا كلّ منا إلى الآخر؟ ذلك أنّ تلك النظرة، هي أيضاً، تعطي قيمة وتنميّ وتحوّل. عندما نشعر بحبّ الآخر، ونقرأ هذا الحبّ في نظرة الآخر، تأخذ الحياة منحى آخر...

ومن جهة أخرى، ألا نزال ننظر إلى القريب نظرة بداية حبنا، أي بأعين جديدة تسعى إلى اكتشافه باستمرار؟ ألا نزن، وبسرعة، أننا أحطنا بأموره من كافة الجوانب... لا تزال هناك أمور كثيرة يتعين أن نكتشفها فيه.

- نعلن مريم طوباوية: ننضم بدورنا إلى جميع الأجيال المسيحية التي جاهرت بطوباوية مريم. وحن الوقت لنفكر كأخويات عائلات مريم في تكريمنا لمريم، قد يستغرب

البعض اللقب الذي نحمله بكل فخر: أخويات عائلات مريم - أمّا نحن، فنعلم تماماً المكانة التي تحتلها العذراء في قلوبنا وفي روحانيتنا.

ربّما حان الوقت أيضاً كي نتطرق إلى علاقتنا المميزة مع مريم. كيف نعيشها؟ قد يكون لزاماً علينا أن نتجاوز حدود تعبدنا العاطفي نحوها وأن نطهر تقوانا تلك، التي تتخطى ورعنا تجاه كلّ القديسين والتي يجب أن تصل إلى الله ذاته. فعندما نقول: "مريم"، تجيبنا: "يسوع"، وعندما نذهب إلى مريم، فذلك كي تقودنا إلى الربّ.

٣ - ١ - دروب واقتراحات

- ١ - للاحتفال بالذكرى الأربعين لتأسيس الأخويات، حاولوا أن ترسموا "طريق النعمة" الذي اجتازته منذ تأسيسها (المراحل الهامة، الاكتشافات، التطورات)، دون إغفال ما رافق ذلك من ألم ومرارة. ما هي الأحداث التي تركت أثراً في حياة أخويّكم؟
- ٢ - ابحثوا كزوجين عن دواعي رفعكم آيات الشكر إلى الله وكرّسوا الوقت اللازم لشكره وحمده تعالى.
- ٣ - لقد عرفتم بأمر القيام بحجّ إلى السيّدة مريم للاحتفال بالذكرى الأربعين لتأسيس الرابطة. فما هو رأيكم بحجّ أو بمسير مع أخويّكم؟

٤ - ١ - نشيد

في ما يلي نشيد من نظم كلود مويون Claude Moyon
اللازمة: اخترت أن أحبّك بكلّ حرّية، اخترت أن أحبّك بكلّ أمانة،
اخترت أن أحبّك رغم كلّ العقبات، اخترت أن أحبّك لكلّ ما أنت عليه.

المقاطع:

* يقولون لنا اليوم إنّه، لكي نكون سعداء، يجب أن نفعل دائماً كلّ ما نشاء. وإنّه باسم الاستقامة والحقيقة المقدّسة، لا بدّ لنا من أن نفترق إذا عاد كلّ منا لا يحبّ الآخر. يُخيّل إلينا عندئذٍ أننا وجدنا الحرّيّة، علماً بأنّه يتعيّن علينا أن نفتش عليها في قاع القلب.

* يقولون لنا اليوم إنّ الكلام لا قيمة له، وإنّه بإمكان المرء أن ينكث في الغد ما يعد به اليوم. وأعتقد أنّه من السهل عليه عندما لا تسير الأمور على ما يرام، أن يجد روضة أكثر إغراء من روضته - غير أنّ الوفاء يضرّم كالنار. أو ليس ذلك إلاّ لإسعادنا؟

* نسير اليوم مع الرّيح، متنقلين من الطقس الجيد إلى العاصفة ومن المدّ إلى الجزر. كم من دموع نذرف عند مجابهة الطقس، وكم من ضحكات نطلق عند التقدم إلى الأمام. نحن في منتهى الصغر، لكننا أحياناً في منتهى الكبر بحيث يجب أن نثق بأنفسنا ونعاود الكرة مجدّداً.

* التقينا مصادفة على طريق واحد. نختلف بعضنا عن بعض، وقد يكون في ذلك خير لنا. إنّ حدودك ونواقصك كثيراً ما تُنفذ صبري، لكنّ قوتك الهادئة تسكّن روعي. ما يؤثر فيّ هو حبّك لي، وما يعجبني فيك تهمسه في الأذن.



ثانياً - «لأنّ القدير صنع بي عظام. واسمه قدّوس ورحمته
إلى أجيال وأجيال للذين يتقّونه»

١ - ٢ - مريم

تكوّن هاتان الآيتان استشهداً شبه حرفي مستمداً من المزمور ١١١
الأبجدي الذي يصف روائع الله، ومن المزمور ١٠٣ الذي بإمكاننا عنونته :
"الله هو محبّة".

١ - روائع الله

يتحدّث لوقا الإنجيلي عن الإعجاب أمام أعمال الله:
إعجاب الرعاة (٨/٢)، وأبوي يسوع (٣٣/٢)، والشعب أمام كلام يسوع
(٢٢/٤)، أو أمام معجزاته (٤٣/٩ و ١٤/١١).
إذا كان نشيد مريم يستند هنا إلى بعض آيات من المزامير، فإنّه يتوضّح في
الواقع في منحنى المزامير ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ التي تُبارك الله وتشكره وتحمده
وتسبّح اسمه القدّوس من أجل روائع أعماله. ومريم على حقّ تامّ عندما تتحدّث
عن الأمور العظيمة التي تمّت فيها، ولكنّها تدرج نفسها وتدرج وضعها
الشخصي في الحركة الكبيرة للروائع التي أنجزها الله لأجل شعبه. وبذلك
يضاف إلى تاريخ الأعمال العظيمة المنجزة من قبل الله لأجل شعبه والذي
يصفه المزمور ١٠٥، فصل جديد، في مريم وبواسطتها، وهو أجمل
فصل.

من أهم روائع الله رحمته. وهي موضوع آخر هام عند القديس لوقا،
وعملياً إنّ الوحيد من الإنجيليين المتوافقين الذي يستعمل كلمة "إليوس Eleos"
ومعناها الشفقة، ويستخدمها بكثرة في الفصل الأوّل من إنجيله، إلى حدّ أنّه
يتحدّث عن "أحشاء رحمة" الله (٧٨/١).

والجدير بنا أن نتدارس هذا المفهوم عن كثب، نظراً إلى أهمّيته في
روحانيّة العهد القديم التي تظهر بشكل واضح هنا. إنّ "الهيزيد Hesed" وهي
كلمة تصعب ترجمتها وتعني الرحمة والحنان وحبّ الله لشعبه.
"حب الله للذين يخافونه يمتد إلى أبد الأباد وبرّه لأبناء أبنائهم وللذين
يحفظون عهده ويراعون مشيئته" (المزمور ١٠٥).

الرحمة هي من صفات الله وغالباً ما يمكن تعريفه بها. يُذكر في سفر الخروج (٦/٣٤) أنّ الربّ مرّ أمام موسى الذي كان يصيح: "الربّ الربّ إله رحيم ورؤوف وطويل الأناة...". كما أنّ المزمور (٤/١١١)، يعرف الله "الربّ رؤوف رحيم". غير أنّ أجمل شهادة هي التي وردت في نبوءة هوشع (٢١/٢) حيث جاء: "وأخطبك لي للأبد.. أخطبك بالبرّ والحقّ والرأفة (راجع التعليق على الآية في الكتاب المقدس).

٢ - قدّوس اسمه

أجابت مريم إلى هذا الحب الذي ينجز الروائع، في خطّ تقليد شعبها، أجابت بمباركتها اسم الرب ومعلنة قداسته.
"باركي يا نفسي الرب ويا جميع ما في داخلي اسمه القدّوس"
(المزمور ١٠٣/١).
"اعترفوا للرب، ادعوا باسمه، حدّثوا في الأمم بأعماله..."
(المزمور ١٠٥/١-٣).
لا شك في أنّه يوجد ارتباط مبين بين رحمة الله وقداسة اسمه. تتضمّن كلمة "هيزيد" ميثاق حبّ وعهداً وأمانة. وتعود أمانة الله ورأفته بشعبه رغم خيانتهم إلى اسمه القدّوس:
"لذلك قلّ لشعبي: هكذا قال السيد الربّ. ليس لأجلكم أنا فاعل لكن لأجل اسمي القدّوس الذي دنّستموه في الأمم الذين دخلتم بينهم. فأقدّس اسمي العظيم الذي دنّس في الأمم، الذي دنّستموه فيما بينهم، فتعلم الأمم أنّي أنا الربّ حين أتقدّس فيكم على عيونهم. وأخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأراضي وآتي بكم إلى أرضكم. وأنضح عليكم ماءً طاهراً فتطهرون من جميع نجاستكم وأطهركم من جميع أصنامكم. وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل في أحشائكم روحاً جديداً..." (نبوءة حزقيال ٣٦/٢٢-٢٦).
ومريم الابنة الفاضلة، تُبارك الله "بتقدّيس" اسمه وإعلان قداسة اسمه. وهذا أيضاً ما دعانا الربّ إليه صراحة عندما علّمنا الصلاة الربّانية: "ليتقدّس اسمك"...

٢ - ٢ - الأخويّات

١ - ما هي الروائع والأشياء العظيمة التي أنجزها الله لأجلنا، وذلك: في حياتنا الشخصية - على صعيد أسرتنا - في حياة الأخويّات عبر السنوات الأربعين؟ النقطة الأخيرة هي التي يجب أن نتطرّق إليها، على الأخصّ، هذا العام.

يمكن التأكيد أنّ الموهبة الروحية التأسيسية لأخويات عائلات مريم كانت عطاءً عظيماً من الله، ليس للمستفيدين منها مباشرة وحسب، بل أيضاً لكنيسته برمتها. لنحاول تفهّم ماهية تلك النعمة تفهّماً أفضل.

إذا ما رجعنا إلى الوراثة، ولأربعين سنة تماماً، يجب أن نتذكّر المكانة المتواضعة التي كانت مخصّصة للحبّ، لا سيّما للحبّ الزوجي، في الروحانية المسيحية العامة. ما هي العلاقة التي كانت بين الحبّ والقداسة؟ كان هناك حظر تامّ

مفروض على مجال الجنس من كلّ نواحيه. بوسعنا، إذاً، أن نقدر أهميّة الشوط الذي قطعناه بهذا الصدد.

وإذا نظرنا إلى الأمر في واقع المجتمع الإباحي القائم اليوم، يُخشى الانجراف والذهاب إلى الطرف الآخر من مفهوم الجنس.. أليست نعمة عائلات مريم وموهبتهم الخاصة هي التي تمكّنهم من وضع "الجنس" في قلب الدعوة إلى القداسة. ولكن تتحقّق روعة من روائع الله عندما يصبح الجنس مفعماً حقاً بالطابع الإنجيلي، حين يُنظر إلى الجنس في ضوء الإنجيل وهذا دورنا تماماً.

٢ - رحمة الله وحنانه وطول أناته التي لا تكلّ نحو العائلات يشكلان موضوعاً آخر مرادفاً. دعونا نكتشف تلك الرحمة الإلهية في حياتنا وفي حياة الأخويات.

- كم من مرّة أوشكنا على التوقف والكفّ عن السير إلى الأمام؟

- كم من أزواج فكّروا في الانسحاب، أو الانفصال بعضها عن بعض؟

- كم من عائلات تعرّضت لخطر التفكك أو اضطرت وجابهت متحمّلة صعوبات الحياة الزوجية.

- كم من أعضاء في الأخويات شعروا بخيبة أمل من جرّاء سلوك أولادهم فتنبّطت عزيمتهم واعتبروا أنفسهم مذنبين؟

وإن كنّا رغم كلّ ذلك لم نفقد همّتنا ولا نزال مثابرين فذلك يعود بالتأكيد إلى رحمة الله الدؤوبة الفعّالة.

كثيراً ما نضع صبر الله على المحكّ، لكنّ صبره هو في كلّ تجربة تواجهنا، إنّه الحنان والرفّة.

٣ - على مثال مريم ومعها نحن أيضاً، لنبارك اسم الربّ،

عندما نتلو الصلاة الربّانية، لنحاول فهم وعيش ما نطلبه: "ليتقدّس

اسمك"، ولنتساءل كيف نستطيع تقديس اسم الربّ في حياتنا الشخصية.

بيد أنّ إعلان قداسة اسم الربّ ورحمته هو في الوقت نفسه نداء ملحّ إلى

التمثّل بهذه القداسة وهذه الرحمة لأننا مدعوون، كأبناء الله إلى ممارسة الحنان والرفّة. وبالنسبة إلى الذين يسكنون معاً ولا يستطيعون تلاقى كلّ

الاصطدامات الناتجة عن التعايش المشترك، إنّ الحنان والرحمة يتجلّيان على أفضل وجه في التسامح المتبادل والمصالحة.
كيف يمكننا أن نعيش الرحمة الحنان بصورة أقوى في عائلاتنا وفي الأخويّة؟ كيف نبرزهما لسائر زملائنا من المتزوّجين، لا سيّما للذين هم أقلّ حظاً منّا وللذين يسكنون معاً، ولكن بدون حبّ، أو للذين يفترقون؟ ربّما كان حناننا، في نظرهم، هو الذي يُظهر وجد حنان الله.

٣-٢- دروب واقتراحات

- الاحتفال بيوم التسبيح، "لتقديس" اسم الربّ في العائلة وفي الأخويّة، وتنظيم لائحة بالروائع التي أنجزها الله لأجلنا، أسوةً بمؤلف المزامير، وفي عالمنا المعاصر.
- السعي إلى القيام، في هذه السنة اليوبيلية، بفعل "هيزيد" (حنان، رحمة، صداقة) مميّز تجاه أسرة أقلّ حظاً أو تجاه عائلة أو شباب يعيشون في الاضطراب.
- إذا كان هناك أمر يخلّ بالعلاقة بين الزوجين أو بعلاقتهم مع أولادهم، أو عبء يحمله بعض الأعضاء، أو مشكلة لم يرغبوا في مواجهتها بشكل مباشر، أو خلاف لم تتيسر لهم تسويته... هذه هي الفرصة... هذه هي لحظة الحقيقة التي يجب اغتنامها والتي يمكن تحضيرها تحضيراً ممتازاً في واجب مجالسة.



المزمور ١١٠

- هللوا.
- أشكر لربِّي من صميم قلبي.
- لمجلس الأبرار وبين الجماعة.
- جليلة هي فعال المولى.
- دراستها بكلُّ محبيها أولى.
- هو الذي صنيعه بهاءٌ وجلال.
- والذي كرمه على الدهر مُقيم.
- ذكراً أحياء لمُعجزاته
حنَّانٌ هو الربُّ وإِنَّه رحيم.
- طعاماً يرزُقُ الذين يتَّقونه
يذكرُ مدى الدهر عَهده.
- كشفَ لشعبه عن جليل صنيعه
لكيما يَمَنِّحهم ميراثَ الأمم.
- ما غيرَ الإنصافِ والحقِّ تَعْمَلُ يداه
نبتتْ من الصدِّقِ جميعُ وصاياه.
- ستظلُّ أبداً سرمداً
عمادها الحقُّ والهُدى.
- فأتى إلى شعبه بالفدى
صَيَّرَ عَهده خالداً.
- فُدَّوسٌ رهيبٌ اسمه
رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله.
- شبيمةٌ كلُّ مَنْ يَعْمَلُ بها الهُدى
تسبيحُه يبقى على طولِ المدى.

نبوءة هوشع ١٦/٢-٢٢ ستكونين خطيبتى، وذلك...

«يقول الرب: لذلك هاءنذا أتملقها، وأتي بها إلى البرية وأخاطب قلبها، وأعطيها كرومها من هناك و"وادي عكور" باباً للرجاء، فتغني هناك كما في أيام صباها وفي يوم صعودها من أرض مصر. وفي ذلك اليوم، يقول الرب، تدعيني: "رجلي ولا تدعيني بعد: "بعلي".
أتزوجك إلى الأبد، أتزوجك بالعدل والحكم والرافة والمراحم، أتزوجك بالأمانة فتعرفين الرب».

ثالثاً : «صنع عزّاً بساعده وشئت المتكبرين بأفكار
قلوبهم، حط المقتدرين عن الكراسي ورفع
المتواضعين، أشبع الجياع خيراً والأغنياء
أرسلهم فارغين»

١ - ٣ - مريم

١ - نتطرق إلى أحد الموضوعين الرئيسيين من النشيد، وهو أنّ حنان الله يبرز بصورة خاصة في سبيل الفقراء والصغار على حساب الأغنياء والمنتقذين. بوسعنا هنا أيضاً أن نستشهد بالعديد من نصوص العهد القديم:

- بذراع عزتك بددت أعدائك (المزمور ١١/٨٩).
- الربّ ينكس الراسخين (أيّوب ١٩/١٢).
- الربّ يرفع المتواضعين (أيّوب ١١/٥).
- أروى الحلق العطشان وملاً البطن الجائع خيراً (المزمور ٩/١٠٧).

نقرأ في نشيد حنة التعابير نفسها، فالنصوص المقدّسة تكوّن منهلاً غنياً جداً في هذا المجال...

٢ - إنّ نشيد مريم يتجاوز ذلك بخطوة إلى الأمام. تنتقل مريم تدريجياً من وضعها الشخصي إلى وضع الشعب المحبوب من الله الذي تبدو صورة ورمزاً له. فقد نظر الله إلى فقرها الشخصي كما أنّه ينظر أيضاً إلى الفقراء وإلى المذلولين. ويظهر هنا إعلان الخلاص المشيخاني الكبير: إذ تقف مريم في وسط فقراء "شعب الله" الذين ينتظرون في الرجاء تحقيق وعود الخلاص، وتصبح صدى رجائهم، وفيها يتحقّق الوعد.

٣ - نشيد نوعاً من الانقلاب في الأوضاع: الفقراء يُمجّدون والأغنياء يُذلّون. يعرض نشيد حنة، هذه الأمور بإسهاب أكثر، وهو أسلوب اتّبعه الأنبياء، لكنّه ينبئ أيضاً بالموقف الذي سيأخذه المسيح. يُظهر يسوع اختياراً واضحاً للفقراء، أي الصغار المتواضعين والمرضى والأطفال... ومن جهة أخرى، سيكون صارماً تجاه "الأغنياء" ... وإذا اقتصرنا على الاستشهاد بإنجيل لوقا الذي يبرز بشكلٍ خاص هذا الجانب من موقف المسيح، يكفي أن نذكر تحذيره من سلطان المال: «المال الباطل» (الفصل ١٦) الويلات الأربعة التي تقابل التطويبات

الأربع: "الويل لكم أيها الأغنياء" (٢٤/٦) الويل لعلماء الشريعة والفريسيين (الفصل ١١).

مَثَلُ الغني السيِّئ وعازار الفقير (١٩/١٦)، ومثل الفريسي والعشار (الفصل ١٨)... ويظهر الغني وكأنه عقبة في الطريق إلى الملكوت: "أن يدخل الجمل في سمّ الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله"... (٢٣/١٨ وما يليها). نحن أمام إنذار دائم لا نستطيع الإفلات منه، وعلينا أن نقف موقفاً.

٢ - ٣ الأخويّات

علينا، إذًا، أن نقف موقفاً معيّنًا حسب ما نميّزه في الإنجيل.

١ - الفقراء والفقير

أ - "طوبى للفقراء"... "إن لم تعودوا كالأطفال..."
من الواضح أنه علينا، إذا أردنا دخول الملكوت، أن نكون من عداد الفقراء. هذا شرط. فهل اقتنعنا بذلك؟ وهل نسعى إلى أن نعيش روح الفقر؟ يتضمّن ذلك مستويين، أولهما، الفقر الروحي، إنّه الأصعب والأكثر تطلبًا، إذ يدعونا إلى التخلّي عن كبريائنا ومكانتنا وادّعائنا الفضيلة... علماً أننا معجونون بها دون أن ندري! والثاني، الفقر المادي، إذ أنّ روح الفقر لا يتحقّق دون شيء من الفقر الفعلي. فكيف نفهم الفقر، وكيف نعيشه؟ من المفيد جدًّا أن نتطرّق بجديّة إلى موضوع الفقر في لقاءات أخويّاتنا وربّما أن نقرّر القيام بخطوة إلى الأمام في هذا المضمار، إنّه مبدأ التعمّق.

ب - ما هو موقفنا حيال الفقراء؟

ثمّة أشكال عديدة من الفقر والفقراء، غير أننا سنقتصر على تمييز فئتين: فئة الفقراء "فعالاً" وفئة الفقراء "الأقل وضوحاً".

الفقراء الواضحون فعلاً، هم الجياع الذين يعانون من الجوع ولا موارد أو الذين يتعرّضون للظلم والنبذ والتحقير... ثمّة قول مأثور يصفهم بأنهم "بدون مال، بدون معرفة، بدون نفوذ" فكيف نتصرّف تجاههم بوصفنا أخويّات عائلات مريم؟

نُلام أحياناً لأننا ننغلق على مشاكل الزجين أكثر ممّا يجب، ولأننا لا نعيّر مشاكل العالم الكبرى اهتماماً كافياً فلا بدّ من أن نتفحص موقفنا انطلاقاً من السوالين الآتيين:

نرى في الإنجيل والكنيسة الحالية، "خياراً تفضلياً" للفقراء.

بعبارة أخرى وبدون حصر، نقول: "الفقراء أولاً" على غرار الصيغة المستعملة في عمليّات إنقاذ المنكوبين والتي يقال فيها: "النساء والأطفال أولاً". فما هو موقفنا أمام هذا الخيار؟

يتعيّن علينا، كزوجين، أن نعيش سرّ الزواج "في الداخل" وهذا أمر نعيه تماماً. غير أنه علينا أن نعيش هذه النعمة أيضاً "في الخارج". لسنا زوجين، كي ينظر واحدنا إلى الآخر وحسب، بل لنسير معاً، لنعمل معاً في سبيل ملكوت الله. نحن منفتحون انفتاحاً كافياً لمشاكل الجوع والبطالة والظلم وحقوق الإنسان؟ أنلتزم، كزوجين، بخدمة الفقراء؟

أمّا فئة الذين يقلّ فقرهم وضوحاً - دون أن تتضمن كلمة "فقر" هنا إذلالاً- فإنّها تشمل الذين جرحوا في حبّهم أو فشلوا في زواجهم أو الذين تزوّجوا ثانية أو الشباب الذين يتساكنون تحت سقف واحد، وهذه الحالة بنظرنا تكوّن "نقصاً" وتتطوي على نداء نشعر به. لنطرح إذاً، الأسئلة الآتية:

ماذا نعمل لتتقاسم مع هؤلاء "الفقراء" الثروات الروحية التي يقدّمها الربّ لأبنائه؟ ماذا نعمل لمساعدتهم دون أن يؤدي ذلك إلى تخليّنا عن أهدافنا الأساسية؟

علينا أيضاً أن نتعلّم منهم ونتّعظ من فشلهم، من ثورتهم، من بحثهم. ما هو "الفقر" الذي نتقاسمه معهم في هذا المعنى؟

نواجه هنا سؤالاً مخادعاً: وأولادنا؟ ألا يتعرّضون لخطر التحوّل إلى "فقراء" بسببنا؟ كأنّ نبذل مثلاً جهوداً أكثر من اللازم خارج المنزل، حتى في خدمة الأخويّات، مما يمنعنا من أن نكرّس لهم كلّ ما تحتاجون إليه من وقت وانتباه وحنان..

٢ - الأغنياء

إنّ إدانة "الأغنياء" تعني في جوهرها إدانة الكبرياء، وأيضاً إدانة سيطرة إله المال وحبّ التسلّط وقساوة القلب... نحن في الأخويّات في مأمن من تلك الإغراءات؟ ألا يعتبرنا الربّ من عداد الأغنياء؟

ما هي علاقتنا بالمال، على الصعيد الزوجي وعلى صعيد الأخوية؟ هل نتعلّقه كثيراً؟ هل نبحث عن الغنى؟

هل نسعى إلى جذب الأنظار وإلى الظهور؟ أو أننا، على العكس، بخلاء وحرصون أكثر من اللازم؟ ولا بأس من أن نطرح هنا سؤالاً بسيطاً جداً: ما هو موقفنا من يوم العمل الذي ندفعه إلى الأخويّات؟

ألا نميل إلى تنمية بعض العُقد لدينا: عقدة التفوّق الفكري، عقدة "البورجوازية"، عقدة "النخبة"، عقدة الفريسيي؟ لنتجنب الاحتجاج ولننقصّ الأمور عن قرب، فقد نفاجأ بأمور عديدة لا نتوقّعها. لقد اختبرت مع مجموعات من الشبيبة خبرة تعلّمنا منها الكثير، فقد خصّصنا عدّة لقاءات لتنظيم لائحة بجوانب الكبرياء لدينا: كبرياء الذكاء والفضيلة والعرق والطبقة الاجتماعية والثقافة... وفي النتيجة وبينما كنّا نعتقد أننا سالمون أو شبه سالمين، ظهر عندنا العديد والعديد من السلبيات..

- وفقاً لأيّ معايير (اجتماعية، ثقافية) شكّلتكم أخويّتكم؟ أخويّتكم منفتحة أم منغلقة؟
- ادرسوا النصوص الإنجيليّة المتعلقة بالفقر وحاولوا أن تستخلصوا منها قواعد عملية لأسلوب حياتكم (مصاريف، أوقات فراغ...).
- نظّموا جدولاً يتضمّن جوانب الكبرياء لديكم، وذلك على الصعيد الزوجي وعلى صعيد الأخويّة، وتعرفوا تلك الجوانب بدون خجل كي تتمكنوا من إزالتها علماً أنّ ذلك سيستغرق بعض الوقت..
- اختاروا قاعدة حياة مركّزة على روح الفقر.
- فكّروا في بادرة تعاون مناسبة الحجّ إلى "الورد".
- بالنسبة إلى كلّ ما تقدّم، ليس المقصود أن نشعر بالذنب، إذ إنّ ذلك لا يؤدّي إلى نتيجة إيجابية، وهو نوع من التذرّع في الكثير من الأحيان. المطلوب على العكس، أن نعي الأمور وأن نهتدي.

إنّ محبّة الكنيسة المفضّلة للمساكين، يعبر عنها روعة، نشيد مريم. إنّ ربّ العهد، الذي تفنّنت به عذراء الناصرة، في ابتهاج روحها، هو، في الوقت نفسه، الذي «يحطّ المقنّدين عن عروشهم ويدفع المتواضعين... ويغمر الجياح بالخيرات، ويرسل الأغنياء فارغين الأيدي... ويشنّ ذوي القلوب المتغترسة بأفكارها.. ويبسط رحمته إلى جيل وجيل للذين يتقونه». إنّ مريم مطبوعة الأعماق بروح "فقراء يهوه"، أولئك الذين كانوا ينتظرون من الله خلاصهم ويضعون فيه ثقّتهم كلّها (مز ٢٥ و ٣١ و ٣٥ و ٥٥). وهي تعلن واقع حلول سرّ الخلاص ومجيء "مسيح الفقراء" (أشعيا ٤/١١ و ١/٦١). والكنيسة، إذ تستقي من قلب مريم، في عمق الإيمان الذي أملى عليها العبارات الواردة في نشيد التعظيم، تعي أكثر فأكثر أنّه لا يمكن الفصل بين ما هو الله المخلص، الله ينبوع كلّ عطاء، واعتلان محبته المفضّلة للفقراء والودعاء، هذه المحبة التي يتغنّى بها نشيد التعظيم والتي عبّر عنها، بعده يسوع قولاً وعملاً.. (يوحنا بولس الثاني، الرسالة الباباوية «أم الفادي»، رقم ٣٧)

«إذا كنت سعيداً جداً في السماء السابعة وطلب منك فقير كأساً من المرقّة، انزل من السماء السابعة وأعط الفقير مرقّته» (من أقوال الطوباوي الهولندي رويسبرك)

رابعاً - «عضد شعبه فذكر رحمته كما كلم آباءنا
لإبراهيم ونسله إلى الأبد»

١ - ٤ - مريم

نتناول الآن الموضوع الثاني المهم من نشيد مريم، وهو أن الشعب المختار هو موضوع عطف الله الذي هو إله وفيّ وأمين، وفي الواقع، وتبرز النصوص الكتابية رئيسيتين:

أولاهما هي **حسن التفات الله نحو شعبه** الذي هو بمنزلة ابنه المفضل وعنده المختار ليكون شاهداً له بين الأمم: «أما أنت يا عبادي، ويا يعقوب الذي اخترته نسل إبراهيم خليلي، يا من أخذته من أقاصي الأرض ودعوته من أقطارها وقلت له: أنت عبادي إخرتك ولم انبذك» (أشعيا ٤١/٨-٩). والفكرة الثانية هي **وفاء الله لحبه ولوعده**، إنه إله يتذكر ولا يتراجع أبداً عن حكمه: «إني أحببتك حباً أبدياً» (ارميا ٣١/٣).

والآن، تنتهي حركة نشيد التعظيم مسيرتها تنسحب مريم انسحاباً كلياً لصالح شعب الله فهي لسان حاله ورمزه - وما يتمّ إنما هو تحقيق الوعد الأولي الذي قطعته الله لإبراهيم. والربط بين مريم وإبراهيم يلقي ضوءاً جديداً، فإبراهيم هو في البدء أصل شعب الله وكلّ شيء كان مركزاً فيه. اختاره الله ليرتبط معه بوعد وقال له: "أجعلك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك... وأبارك مباركك وشاتمك ألعنه ويتبارك بك جميع عشائر الأرض". (تك ١٢/٢-٣). أما مريم، فإنها تجمع فيها كلّ الشعب كي يستقبل تحقيق هذا الوعد. مع إبراهيم ومريم نمسك طرفي الرجاء المشيحاني، فما ابتدأ مع إبراهيم يكتمل في مريم.

لذلك، ومع كون التعظيم نشيد شكر خاص بمريم كان نشيد "فلتعظم الرب نفسي" فإن مصير مريم يطبقها بالشمولية، فيصبح شكرها شكر شعب برمته، وشكرنا أيضاً لأننا شعب الله الجديد. لا نستطيع أن ننشد التعظيم منفردين، وإن بدا ذلك ممكناً، دون أن ندخل في تيار الرجاء المشيحاني العظيم

٢ - ٤ - الأخويات

لنتعمّق في فكرتي هذا النص: دعوة "الخدم" المميّز، ووفاء الله.
١ - الله يحبنا

هذه هي النواة الأساسية للوحي كله: «الله هو حنان ورحمة، الله هو محبة، الله أحب العالم...».

ويمكننا القول، إنَّ الله أفضلياته. هل ينكر أحد أن مريم العذراء "المباركة في النساء"، قد خصَّها الله ونالت حظوة خاصة من بين البرايا بأسرها؟ بوسع كلِّ منا أن يشعر بأنه يتمتع بمحبة خاصة خصَّه الله بها، أو على الأقلَّ بأنَّ الله يحبه شخصياً حباً متميزاً لشخصه وليس كفرد غير مسمّى في مجموعة البشر. قد يكون كلُّ منا الخروف الضال الذي يترك الراعي من أجله (مؤقتاً) الخراف التسعة والتسعين الباقية.

ألم تحظَّ أخويّات عائلات مريم في الماضي وفي الحاضر بدعوة خاصة تميّزها وليس من الفرح، إذًا، اعترفنا أنَّ الرب يحضننا بحنان وعطف مميّز بك، في أغلب الأحيان، يُشبهه في الكتاب المقدس، حبَّ الله البشرية، بالحبِّ الزوجي. لذا فتقدّيس الحبِّ الزوجي الذي هو رسالة لأخويّات عائلات مريم، خاصّة ويعبّر تعبيراً مختاراً ومميّزاً عن هذا الحبِّ الإلهي، عن هذا "العهد" الإلهي إن كانت عائلات مريم مدللة من الله، شأنها شأن شعب الله الخادم قديماً، ذلك حتى تكون شاهدةً له بين الأمم التي هي في حاجة ماسّة إلى مثل تلك الشهادة.

وفي عالمنا، إنَّ تأكيد البهجة والسعادة في الحبِّ وفي الوفاء الزوجي، إن تأكيدهما الأكثر إقناعاً يتمُّ عن طريق شهادة الحياة، ويدوي كبشري تعرّضت لبعض النسيان... تلك هي طريقتنا لتبشير العالم، وإنذار القديس بولس: "الويل لي إن لم أبشّر" يشملنا نحن أيضاً.

٢ - اله يتذكّر

يتذكّر الله حبه، لأنَّ حبه أبدي. الله أمين لوعده. إنَّ ذاكرته ووفاءه حيّين فينا ولأجلنا.

أ - إنَّ وفاء الله لم يُنكر يوماً وباستطاعتنا أن نتكل عليه اتكالاً مطلقاً.

- التزم في عهد الزواج المبرم بين العروسين الله، من جهته، إنَّه الحاضر دائماً، إنه الضامن. لن تنقص نعمته أبداً، ستأخذ الشكل الملائم حسب الوقت والمصاعب وتطوّر الأسرة.

- إذا كانت الفكرة التأسيسية للأخويّات هي، كما نعتقد، عطاء من الله لكنيسته، فإنَّه تعالى سيكون وفيّاً هنا أيضاً وسوف يقود مسيرة الأخويّات ويدعمها.

ب - يجب أن يكون وفاء الله مثلاً يقتدي به الزوجان، إذ التزمهما أيضاً في "عهد"، إنَّهما باتحادهما معاً بسرّ الزواج "يشبهان الله الأب"، إنَّهما يشاركان الله في "قداسته" حسب تعليم

المسيح
إنّ وفاء الزوجين لنعمة سر الزواج يفوق بكثير ما يسمّى "الأمانة الزوجية"
التي هي عنصر منه. فهذا الوفاء هو بحث مستمر عن تقدّم متواصل في سرّ الله،
ولا شك أنّ في هذا السرّ أموراً لا يفهما حقاً إلا الزوجان المسيحيّان.
علاوة على ذلك، إنّ هذا الوفاء يتعدّى وضعهما الشخصي، إذا يساهمان
عن طريقه في بناء جسد المسيح، الذي هو مرحلة الرجاء الجديدة والذي يكون
نصيب شعب الله الجديد. إنّهما مدعوان إلى المساهمة العملية لتحقيق الوعد حتى
اكتماله كلياً، وفق مسيرة إبراهيم ومريم في وسط الشعب الذي اختاره الله لنفسه.
ويصبحان، إن صحّ القول، سرّاً مقدّساً حيّاً للحبّ وعلامة حسّية ومنظورة،
قادرة على إقناع المتشكّكين وعلى إعادة الرجاء إلى الكثيرين.
(ينصح بإعادة قراءة المواضيع الهامّة التي سبق وعالجناها مثل: "أنتم
جسد المسيح" و "دائماً مستعدون لأن نشهد لرجائنا").

ج - أخيراً، يتعيّن على مجموع الأخويّات أن تنظر في مدى
أمانتها للمواهب الروحية التأسيسية إنّنا مدعون إلى إعادة قراءة
الوثائق الأساسية والتأمّل فيها، إلى الرجوع إلى النبع لنشرب منه. أمامنا فرصة
للتأكّد من عمق وفائنا لما نعتبره اليوم نداء صريحاً من الله: وهو أمانتنا للمبدأ
الأصلي وللتطوّرات الضرورية في آن واحد. علينا أن نستعيد أنفاسنا
وحماس الأيام الأولى مجدداً، حماس يوجهه ويغنيه كلّ ما أكسبتنا إيّاه
الخبرات.

٣ - ٤ - دروب واقتراحات

- انطلاقاً من المستندات التأسيسية التي أعدتم قراءتها، تأكّدوا من أمانة
أخويّكم لروح تلك المستندات لا لحرفيّتها.
- كيف تشهدون للحب كعلامات حسّية؟ هل تحسنون، مثلاً، التحدّث عن
الحبّ الزوجي والزواج إلى الشباب الذين لا يؤمنون بهما؟
- بادروا إلى دعوة الشباب الذين يتساءلون عن معنى الحبّ والزواج إلى
بيّتهم واجتمعوا بهم، أو وإلى دعوة من هم لا يزالون متردّدين بالنسبة إلى
التزامهم النهائي.
- إن أغلب الأولاد، لا سيّما المراهقين منهم، يهتمّون كثيراً بقصّة حبّ
أبويهم (لكنهم لا يجاهرون بذلك). أرووا لهم إذاً هذه القصة... من نبوءة أشعيا

«أتنسى المرأة مرضعها فلا ترحم ابن بطنها، لكن ولو أنّ هؤلاء نسين لا أنساك أنا. هاءنذا على كفي رسمتك».

إليك، في ما يلي، حديتين لجان او نيموس Jean Qnimus في أثناء مقابلة أجريت معه حول كتابة المعنون: "لا يمكن التفريق بينهما، فنّ تعيشهما":

حول الوفاء

إني أسمي "وفاءً بارداً" الوفاء الناجم عن أحد المحرّمات أو عن ورقة موقعة أي الضمانة. أمّا الوفاء "الحار"، فإنه يتبع من القلب ويتوجّه إلى القلب، إنه ليس المسلم به بل من الغزو، لا يملك بل يُصنع... الحبّ الوفي كان دائماً نادراً لأنه صعب ومتطلب، إنه إرادة تولّد وعداً، والإنسان الذي يقطع وعداً يقوم بعمل خارق للغاية ومن أكثر الأعمال اتصافاً بالطابع البشري، بوعده يقفز الإنسان فوق الزمن. يا لها من جراءة جنونية! وما أعظم السلطة الغربية التي نخصّ أنفسنا بها آنذاك والتي تصنع كرامتنا البشرية. بالنسبة إليّ، الإنسان غير القادر على الوعد ليس إنساناً".

حول قيمة الحب الهدامة :

في هذه الأيام التي يُشترى ويُباع فيها كلّ شيء، إذا كانت الشبقية والإباحية تجليان الكسب، إن الحبّ وحده يبقى مجانياً. ومن هنا يأتي طابعه الغريب، وحتى الهدام، إنه غير لائق، لأنه لا يتوافق مع "التملك" أساس مجتمعاتنا المعاصرة (لا يتناسب مع الأوضاع الراهنة لأنه ليس له أية صلة "بالمال" الذي هو أساس مجتمعاتنا)، لذلك كان من الصعب عليه أن يُستعبد طيلة حقبات التاريخ... الحبّ هو طريقة للخروج عن المألوف ولتحديّه، لأنّ الحبّ لا يُسترد. يستطيع العالم الصناعي أن ينتج كلّ شيء، إلا أنّ ما يتعلّق بالقلب والحنان يفلت من تقنيته. وفي عالمنا المبني على "نظام العقل"، إنّ نظام القلب الذي ينعش الزوجين والعائلات قد انتقل إلى صفّ المعارضة...



المحتويات

تمهيد

نشيد التعظيمة

أولاً : تعظم الرب نفسي...

ثانياً : صنع بي عظام...

ثالثاً : صنع عزاً بساعده...

رابعاً : عضد شعبه...

بين أيدينا سطور...



أعزاءنا.. هذه الصفحات لكم كي تكتبوا عليها - وأنتم تدرسون هذا الموضوع ما لديكم من ملاحظات نستفيد منها، أو تصويب كما سهونا عنه، أو إضافات تقترحونها، أو شهادات حياة نغتنى بها.

أرسلوا إلينا هذه السطور ملأى فنحن على أانتظار...
لجنة إنعاش الروحانية الزوجية
